المحظور اللغوي
في مقامات العصر العباسي
مقامات الهمذاني والحريري أنموذجا

م.م.فارس كاظم محمد
كلية الإمام الأعظم/ الجامعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الملخص:

للحظر اللغوي وظائف إيجابية، مثل: ستره المحظور في المجتمع (كالجنس والقذارة وغيرهما)، وتخفيفه من وطأة الحقائق المؤلمة (كالموت)، وتجنيبه المخاوف (كالحسد، وفقدان الرزق، والحروب، والجوع، والجفاف، والغلاء، والكوارث الطبيعية)، وارتقائه بالذوق، شأن ما يرد في العربية الفصحى من استعمال الحرث والتغشّي؛ للدلالة على الجماع، وتنميته الذائقة اللغوية والأدبية غبر توظيف الأدباء التلطف في فنون الأدب وسيلة للتلميح لا التصريح، ومحافظة التلطف على تألق المشاعر الإنسانية النبيلة، وتوهج رونق الموجودات الثمينة القيمة لدى أفراد المجتمع.

Abstract:

The prohibition is a taboo of positive functions, such as covering the taboo in society (such as sex, dirt, etc.), reducing the reality of painful facts (such as death), avoiding fears (such as envy, loss of money, wars, hunger, drought, With taste, like what is contained in

The use of words to indicate sexual intercourse, and the avoidance of linguistic and literary expression. The use of literary literature in the arts of literature as a means of hinting, and the moderation maintains the brilliance of noble human feelings and the preservation of valuable assets valuable members of the community

المقدمة

المحظور اللغويّ أسلوب من الأساليب اللغويّة التي تؤدّي دورًا مهمًّا في أيّ لغة كانت، فهو وسيلة غير مباشرة يعمد إليها المتكلم للتعبير عن مراده إذا كان هناك ما يشير إلى أمر محوج، أو غير مهذّب، أو قد ينتج عن حديثه ردّ فعل سيء من السامع؛ إمّا لفظاظة اللفظ، أو لارتباطه بأمور مستكرهة. وفي لغتنا العربية حظي المحظور اللغويّ باهتمام العلماء قديمًا وحديثًا، فقد بحثوه ضمن مصطلحات مختلفة في علوم القرآن الكريم، والتفسير، وفقه اللغة، وعلوم البلاغة، وعلم الدلالة الحديث.

ويعدّ المحظور اللغويّ إحدى المشكلات المصطلحيّة في كلّ العصور؛ لأنّه يقف على المصطلح بوصفه وسيلة يلجأ إليها المتخصّصون على نحو فرديّ ارتجاليّ أو جماعيّ؛ لتطوير المصطلحات في حقولهم العلمية واللغوية ووضوحه من ناحية، وارتباط المصطلحات -غالبًا- بمفاهيم ومعانٍ تقتضي التغليف بألفاظ (مصطلحات) متجدّدة على نحو دائم؛ لما تثيره لدى مستخدميها من إيحاءات سلبية[1].

وقد حوت المقامات الأدبية في العصر العباسي نماذج كثيرة للمحظور اللغوي كان من أبرزها التشاؤم وما يُذمّ من أصناف الناس وصفاتهم، وبعد قراء للمقامات جمعت نماذج الظاهرة وقمت بدراستها في ضوء علم اللغة الاجتماعي وخلصت إلى وجود الظاهرة فضلا عن التحرز منها في الاستعمال اللغوي.

(١) ينظر: ظاهرة المحظور اللغوي في صحيح البخاري: ١٦-١٧.

المبحث الأول
التشاؤم

للتشاؤم أثر كبير في نشوء ظاهرة المحظور، وهو عامل نفسي رافق الإنسان منذ القدم، جعله يَحْجِم عن القيام بأعمال معينة، إذا اقترنت برؤية أشياء معينة، واختصّ بالمجالات التي يتّضح فيها الضعف الإنساني، كالموت والمرض وأسماء بعض الحيوانات، والسوام والجنّ، فهي مجالات تثير في النفوس الخوف والهلع، فينفرون من سماعها، يتفادون ذكرها فرارًا ممّا تبعثه في الأذهان من آلام[1]، وسببه ما استقرّ في أذهان الناس منذ القدم من الربط بين اللفظ ومدلوله ربطًا وثيقًا حتى يُعتقد أنّ مجرد ذكر الموت يستحضر الموت، وأنّ النطق بلفظ الحية يدعوها من حجرها فتنهش من ناداها، أو ذكر اسمها[2]، لذلك لجأ العرب إلى العدول عن الألفاظ الدالّة على المعنى الحقيقيّ إلى ضدّها؛ تشاؤمًا من التصريح بها، وتفاؤلًا بضدّها، قال ابن قتيبة: (ومن المقلوب أن يوصف الشيء بضدّ صفته للتطير، والتفاؤل، كقولهم للديغ: سليم، تطيّرًا من السقم، وتفاؤلًا بالسلامة، وللعطشان: ناهل، أي: سينهل، يعنون: يروى، وللفلاة: مفازة، أي: منجاة، وهي مَهلكة)[3]، ويقاس على ذلك قول العرب: بصير للأعمى، وقافلة للمسافرين، تفاؤلًا برجوعهم؛ إذ الأصل فيها الدلالة على الراجعين من السفر[4].

ومن هذا القبيل اتقاء الحسد بانتقاء ألفاظ قبيحة يدفع بها المتكلم الحسد والعين، واتقاء الحسد عند ابن جني أو دفع العين ربما كان سبباً لحدوث عكس ظاهرة اللامساس أي اتخاذ المتكلم ألفاظ قبيحة للدلالة على ما هو حسن وجميل، قال أبو عبيدة: (مهرة شوهاء

(١) ينظر: ظاهرة التلطف في الأساليب العربية (بحث): ٩٧.
(٢) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: ١٤٤.
(٣) تأويل مشكل القرآن: ١٨٥.
(٤) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: ٢٩، والبلاغة وقضايا المشترك، عبد الواحد الشيخ: ١٢٠.

قبيحة وجميلة، قال أبو حاتم مفسرًا ذلك: لا أظنّهم قالوا للجميلة شوهاء إلا مخافة أن تصيبها عينٌ، كما قالوا للغراب: أعور؛ لحدّة بصره)[1]، ويقول ابن جني: (فإن الشاه في قولهم رجل اشوه وامرأة شوهاء للقبيحين وهذا ضد الأول) ففيه جوابان: أحدهما أن تكون الشاة جرت مجرى القلب لدفع العين عنها لحسنها كما يقال في استحسان الشيء (قاتله الله) لقوله:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الشنب من أنيابها بالفوادح

وهو كثير، والآخر، أنه قد يكون من باب السلب كأنه سلب القُبح منها[2].

وقد يخافون على شيء حسن من الحسد، فيوصف بوصف قبيح خشية أن تصيب العين، كما يقال للفرس الحسنة الشوهاء والبعير الصحيح (قرجان) كأنما أصاب الفرس تشوه، والبعير أصابه حرب مع أن شيئاً من ذلك لم يحدث، فالقصد صرف عيون الحاسدين عنهما[3].

وتنتشر في مجتمع الارياف أسماء للأبناء تحمل دلالات قبيحة والغرض منها دفع العين والحسن مثل: (الحيوان – الجحش – النتن – الشحات – شحته – المعفن – العفش) الخ.

ومما يدفعون به الحسد والعين أنّ الرجل إذا بلغت إبله ألفًا، فقأ عين الفحل، وهي التفقئة، وإن زادت عن ذلك، فقأ العين الأخرى، وهي التعمية، ويزعمون أنّ ذلك يدفع العين عن الإبل، وما ذلك إلا تشاؤمًا من هذا العدد الذي يعتقدون بأنّه يجلب الشرّ والهلاك لإبلهم[4]، ولا تعني كلمة طائر في العربية الجاهلية وما بعدها هذا المخلوق، ولكنّها تحمل دلالات أخرى، منها عمل الإنسان من خير أو شرّ، كما في قوله تعالى:

(١) ثلاثة كتب في الأضداد، الأصمعي، والسجستاني، وابن السكيت: ٣٧.
(٢) الدرس الدلالي في خصائص ابن جني د.أحمد سليمان ياقوت، ٤٣٠.
(٣) علم اللغة بين القديم والحديث، د. عبد الغفار هلال، ٢٢٥.
(٤) ينظر: صبح الأعشى للقلقشندي ١/ ٤٠٣.

(كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) (الاسراء: من الآية١٣)، والتشاؤم أو التفاؤل، فعدّوا تيامنها فألًا، وتياسرها شؤمًا، وسمّوا الطائر الذي يأتي عن يمينك بالسانح، والذي يأتي عن يسارك بالبارح، قال كثير، وهو حجازيّ ممن يتشاءم بالسانح[١]:

أقــول إذا مــا الــطــيرُ مــرّتْ مخيفةً سـوانـحُـهـا تجـري ولا استشيرُها

وسنورد أمثلة من الالفاظ التي تدل على الشؤم في كتابي المقامات ومنها ما يأتي:

- **الغراب**

لم تتشاءم العرب بشيء أكثر من تشاؤمهم بالغراب، وَفِي الحَدِيث (أَنَّه غَيَّر اسمَ غُرَاب)[٢] ؛ لِمَا فِيهِ من البُعْد، ولأَنَّه من أَخْبَثِ الطُّيُور، والعَرَبُ تَقُولُ: فلانٌ أَبصَرُ من غُرَابٍ، وأَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ، وأَزْهَى من غُرَاب، وأَصْفَى عَيْشاً من غُرَاب، وأَشَدُّ سَواداً مِنْ غُرَاب، وَهَذَا بِأَبِيه أَشبَهُ مِنَ الغُرَابِ بالغُرَابِ، وإِذا نَعَتُوا أَرضاً بالخِصْب قَالُوا: وقَع فِي أَرْض لَا يَطِيرُ غُرَابُهَا، ويَقُولُون: أَشأَمُ مِنْ غُرَاب، وأَفْسَقُ مِنْ غُرَاب ويراد بهذا المصطلح أن تحتمل اللفظة معنيين أو أكثر[٣]، والغراب سمي كذلك لكونه مبعدا في الذهاب[٤].

وعلى ذلك وردت لفظة الغراب عند الحريريّ في المقامة الرقطاء: ((وفي غدٍ أَزْجُرُ غُرابَ البينِ، وأَرْحَلُ عنكَ بخُفّيْ حُنَينٍ، فقال: حاشا للهِ أنْ أُخْلِفَكَ، أو أُخالِفَكَ، وما أَرْجأتُ أنْ أحدّثَكَ، إلا لأُلَبّثَكَ))[٥]..

وفي سياق مشابه أورد الحريري لغظ الغراب في المقامة الحلبيّة، قال: ((روى الحارثُ

(١) ينظر: لسان العرب (سنح)٧/ ٢٧٠. والمحظورات اللغوية: ٢٩.
(٢) لم اجده في كتب الحديث.
(٣) ينظر: لسان العرب (غرب) ١١/ ٢٣
(٤) ينظر:المفردات في غريب القرآن - الاصفهاني (غرب) ج٣-٣٥٩/ ٣٦٠.
(٥) مقامات الحريري ٢٥٨

بنُ همّامٍ قال: نزعَ بي الى حلَبَ، شوْقٌ غلَبَ، وطلَبٌ يا لهُ من طلَبٍ! وكنتُ يومَئِذٍ خَفيفَ الحاذِ، حَثيثَ النّفاذِ، فأخذْتُ أُهبَةَ السيرِ، وخفَفْتُ نحوَها خُفوفَ الطّيرِ، ولمْ أزَلْ مُذْ حلَلْتُ رُبوعَها، وارْتبَعْتُ ربيعَها، أُفاني الأيّامَ في ما يَشْفي الغَرامَ، ويُرْوي الأُوامَ، الى أنْ أقْصرَ القلْبُ عنْ وَلوعِهِ، واسْتَطارَ غُرابُ البينِ بعْدَ وقوعِهِ، فأغْراني البالُ الخِلْوُ، والمَرَحُ الحُلوُ، بأنْ أقصِدَ حِمْصَ، لأصْطافَ ببُقعَتِها، وأسبُرَ رَقاعَةَ أهلِ رُقعتِها...))[1].

فلو لم يكن الغراب والبين متلازما الدلالة لما هم القائل بزجره ملازما للبين.

واشتق العرب -لتشاؤمهم بالغراب- من اسمه الغربة والاغتراب[2]، والعامة تتطير من الغراب اذا صاح صيحة واحدة، فإذا ثَنّى تفاءلت به، ويكنى الغراب : أَبو حاتم [3]، وأَبو جاعرة [4]، وأَبو جُحادِب [5]، أَبو الشَّؤم [6]،أَبو الشُّؤم [7]، أَبو الغياث [8]، أَبو رَيدان (الغراب الابقع)[9].

نلحظ مما تقدم ان هنالك عدة دلالات تظافرت، اللون، والبعد، والاغتراب، والغربة، وغيرها، أدلت بدلوها على التشاؤم من ذلك الطائر، الذي لا ذنب له فيما تقدم.

● **خلاف**

(١) مقامات الحريري ٤٩١-٤٩٢.
(٢) ينظر:لسان العرب (غرب)، الحيوان للجاحظ ج٢/ ٣١٢-٣١٦.
(٣) ينظر:حياة الحيوان الكبرى - الدُّميري - (٢/ ٩٠)، والمزهر - السيوطي - (١/ ٥١١)، والمرصع في الآباء والامهات والابناء - ابن الاثير / ص(١١١).
(٤) ينظر: المزهر - السيوطي - (١/ ٥١١) .
(٥) ينظر:المرصع في الآباء والامهات / ص(٩٤)، وحياة الحيوان الكبرى (٢/ ٩٠) .
(٦) ينظر:المرصع في الآباء والامهات والابناء (١٨٢)، وحياة الحيوان الكبرى (٢/ ٩٠).
(٧) ينظر: حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٩٠) .
(٨) ينظر: المصدر نفسه.
(٩) ينظر:المزهر - للسيوطي - (١/ ٥١١)، والمرصع في الآباء والامهات والابناء / ص(١٦٥).

ومما يتطير منه العرب: الخلاف، غير أنّ الفرس يتفاءلون به؛ لأنّ اسمه بالفارسية (بأدامك) اي يبقى، وبالعربية (خلاف) والخلاف غير الوفاق[1].

ولذلك جاء لفظ الخلاف في المقامة الرحبية على سبيل البعد عنه إرضاءً للمخاطب حين قال: ((أرى أنْ تُقصِرَ عنِ القِيلِ والقالِ، وتقتَصِرَ منهُ على مئَةِ مِثْقالٍ، لأتحمّلَ منْها بعْضاً، وأجْتَبي الباقيَ لكَ عُرْضاً، فقالَ الشيخُ: ما مِني خِلافٌ، فلا يكُنْ لوعدِكَ إخْلافٌ، فنقَدَهُ الوالي عِشرينَ، ووزّعَ على وزَعَتِه تكْمِلَةَ خمْسينَ، ورقّ ثوْبُ الأصيلِ، وانقطَعَ لأجْلِهِ صوْبُ التّحصيلِ))[2].

- **العور**

والعور في لغة العرب: ذهاب حس احدى العينين، والجمع : عُور، وعورات، واعور الله عين فلان وعورها، وربما قالوا : عَرَتْ عينيه. وعورت، وأعْوَرتْ إذا ذهب بصريها، قال الجوهري انما حُذفت الواو في عَوُرَتْ عينهُ لصحتها في اصله، وهو اعورت، لسكون ما قبلها ثم حذفت الزوائد الالف والتجديد فبقي عور. والعرب تصغر (عويرا)، ومنه قولهم : كسير، وعَوِير وكل غير خير، وقال الجوهري : ويقال في الخصلتين المكروهتين (كسير وعوير وكُّل غيرخير)، وهو تصغير اعور مفخماً. والعرب تتشاءم بالأعور؛ لاختلاف حاله، فالأعور عندهم مشؤوم[3].

وقد ورد عند الهمذاني لفظ العوراء في المقامة الأسدية صفة للفلاة، ودلالة على خطر المخاطب بإقباله على هذه الفلاة، ((وَعُدُنَا إِلَى الفَلاةِ، وَهَبَطْنَا أَرْضَهَا، وَسِرْنَا حَتَّى إِذَا ضَمِرَتِ المَزَادُ، وَنَفِدَ الزَّادُ أَوْ كَادَ يُدْرِكُهُ الْنَّفادُ، وَلَمْ نَمْلِكِ الذَّهَابِ وَلاَ الرُّجُوعَ، وَخِفْنَا القَاتِلِينَ الظَّمَأَ وَالجُوعَ، عَنَّ لَنَا فَارِسٌ فَصَمَدْنَا صَمْدَهُ، وَقَصَدْنَا قَصْدَهُ...يَا سَادَةُ إِنَّ فِي

(١) ينظر:الحيوان للجاحظ، ٣/ ٤٥٧/ ٤٥٨.

(٢) مقامات الحريري ٩٩.

(٣) ينظر: لسان العرب (عور) ١٠/ ٣٣١

سَفْحِ الجَبَلِ عَيْنَاً، وَقَدْ رَكِبْتُمْ فُلاَةً عَوْرَاءَ، فَخُذُوا مِنْ هُنَالِكَ المَاءَ، فَلَوَيْنَا الأَعِنَةَ إِلى حَيثُ أَشَارَ، وَبَلَغْنَاهُ وَقَدْ صَهَرَتِ الهَاجِرَةُ الأَبْدَانَ، وَرَكِبَ الجَنَادِبُ الْعِيدَانَ))[1].

وورد لفظ الأعور عند الحريريّ مجموعًا وملازمًا للعُمْي في المقامة الساسانية: ((...وأما حِرَفُ أولي الصناعاتِ، فغيْرُ فاضِلَةٍ عنِ الأقْواتِ، ولا نافِقَةٍ في جَميعِ الأوْقاتِ، ومُعظَمُها معْصوبٌ بشَبيبَةِ الحَياةِ، ولمْ أرَ ما هوَ بارِدُ المَغنَمِ، لَذيذُ المطعَمِ، وافي المَكْسَبِ، صافي المَشرَبِ، إلا الحِرفَةَ التي وضعَ ساسنُ أساسَها، ونوّعَ أجْناسَها، وأضْرَمَ في الخافِقَيْنِ نارَها، وأوضَحَ لبَني غَبْراءَ مَنارَها، فشَهِدْتُ وقائِعَها مُعْلِماً، واخترْتُ سِيماها لي مِيسَماً، إذْ كانَتِ المَتْجَرَ الذي لا يَبورُ، والمنهَلَ الذي لا يغورُ، والمِصْباحَ الذي يعْشو إلَيْهِ الجُمهورُ، ويستصْبِحُ بهِ العُمْيُ والعورُ))[2]. ولأنّ العرب تتشاءم من الأعور سموا الغراب (أعور)، و(عويرا) على ترخيم التصغير، قال ابو الطيب في اضداده (رجل اعور،اذا كان حديدَ البصر)، ومنه قيل للغراب : اعور لحدَّةَ بصرهَ، ويقولونَ : (هذا غلامٌ اعور)..... والعرب تتكلم بمثل هذا على وجه القلب للمعنى كما يكنونّ الأعمى (أَبا بصير)[3].

- **البسوس :**

أَبْسَسْتُ بالنعجة إذا دعوتها للحلب - وقال الأصمعي : لم أسمع الإبساس إلا في الإبل، وقال ابن دريد : بَسَسْتُ الغنم قلت لها : بَسْ بَسْ. والبَسُوسُ : الناقة التي لا تَدِرُ إلا بالإبْساسِ، وهو أن يقال لها بُسّ بُسّ، بالضم والتشديد، وهو الصُّوَيْتُ الذي تَسْكَّنُ به الناقة عند الحلب، وقد يقال ذلك لغير الإبل، وَمن امثال العرب : (أَشْأَمُ منَ البَسُوس)، ويقال البسوس اسم امرأة،وهي خالة جَسَّاسْ بِنْ مرَّة الشيباني، كانت لها ناقة يُقال : (سَراب)، فرآها كليبُ بن وائل في حِماهُ قد كَسَرَتْ بيضة طيرٍ كان قد اجاره،

(١) مقامات الهمذاني ٣٧-٣٩.

(٢) مقامات الحريري ٥٣٧-٥٣٨.

(٣) ينظر: التضاد في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنه ٥٤.

فرمى ضرعها بسهم، فوثب جَسَّاسْ على كُلَيبٍ فقتله، فهاجت حرب بَكرٍ وتغلبٍ ابني وائل بسببها اربعين سنة حتى ضُرِبَ بِها المثل في الشؤوم، وبها سُمْيَّتْ (حَرْبُ البَسوسِ). وصارت نذير شؤم على قومها، فتسببت بهلاكهم حتى ضرب بها هذا المثل [1].

نلحظ من القصة المتقدمة أن اسم العلم انقلب الى أسم شؤم يتشاءم منه العرب للحادثة المتقدم ذكرها.وليس لها معنى معجمي يدل على التشاؤم.

وقد ورد عند الهمذانيّ لفظ البسوس دلالة على الشؤم في المَقَامَةُ الوَصِيَّةَ، قال: ((حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا جَهَّزَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ وَلَدَهُ لِلتِّجَارَةِ أَقْعَدَهُ يُوَصِّيهِ، فَقَالَ بَعْدَ مَا حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي وَإِنْ وَثِقْتُ بِمَتَانَةِ عَقْلِكَ، وَطَهَارَةُ أَصْلِكَ، فَإِنِّي شَفِيقٌ، وَالشَّفِيقُ سَيِّئُ الظَّنِّ، وَلَسْتُ آمَنُ عَلَيْكَ النَّفْسَ وَسُلْطَانَهَا، وَالشَّهْوَةَ وَشَيْطَانَهَا، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِما نَهارَكَ بِالصَّوْمِ وَلَيْلَكَ بِالنَّوْمِ، إِنَّهُ لَبُوسُ ظِهَارَتُهُ الجُوعُ، وَبِطَانَتُهُ الهُجُوعُ، وَمَا لَبِسَهُمَا أَسَدٌ إِلاَّ لانَتْ ثَوْرَتُهُ، أَفَهِمْتَهُمَا يَابْنَ الخَبِيثَةِ؟ وَكَمَا أَخْشَى عَلَيْكَ ذَاكَ، فَلاَ آمَنُ عَلَيْكَ لِصَّيْنِ: أَحَدُهُمَا الكَرَمُ، وَاسْمُ الآخَرِ القَرَمُ، فإِيَّاكَ وَإِيَّاهُمَا؛ إِنَّ الكَرَمَ أَسْرَعُ فِي المَالِ مِنَ السُّوسِ، وَإِنَّ القَرَمَ أَشْأَمُ مِنَ البَسُوسِ))[2].

وورد اللفظ عند الحريري تشبيًا بحربها المشهورة على أصل دلالته، وذلك في المقامة الرقطاء: ((..فقلتُ له: منْ أينَ إيابُكَ، والى أينَ انسِيابُكَ.، وبِمَ امتلأتْ عِيابُك؟ فقال: أمّا المَقْدَمُ فمِنْ طوسَ، وأما المَقصِدُ فإلى السّوسِ، وأما الجَدَةُ التي أصَبْتُها فمِنْ رِسالَةٍ اقتَضَبْتُها، فسألتُهُ أن يَفرُشَني دِخلتَهُ، ويسْرُدَ عليّ رِسالتَهُ، فقال: دونَ مَرامِكَ حرْبُ البَسوسِ. أو تَصحبَني الى السّوسِ، فصاحَبتُهُ إليْها قَهْراً، وعكفْتُ علَيْهِ بها شهْراً، وهوَ

(١) ينظر: لسان العرب (بسس) ٢/ ٨٥

(٢) مقامات الهمذاني ٣٠٤-٣٠٦.

يَعُلّني كاساتِ التّعليلِ، ويُجِرّني أعِنّةَ التأميلِ))[1].

- **القاشور والقاشر:**

القاشور هو المشؤوم، والقاشر: الذي يجيء في الحَلْبة اخر الليل وهو الفِسْكِلُ السُّكَيْتُ ايضاً، والقشور المرأة التي لا تحيض القُشران جناحا الجرادة الرقيقان، والقاشرة الشجاج لانها تقشر الجلد، ومن تسمياتهم لمن يتشاءمون منه القاشور، كأنّه لشؤمه يقشرهم[2].

وقد ورد هذا اللفظ عند الحريريّ صريحًا في دلالته على التشاؤم في المقامة التبريزية، فجاء فيها: ((قال: فتذمّرَتِ المرأةُ وتنمّرَتْ، وحسَرَتْ عنْ ساعِدِها وشمّرَتْ، وقالتْ لهُ: يا ألأمَ منْ مادِرٍ، وأشْأمَ منْ قاشِرٍ، وأجْبَنَ منْ صافِرٍ، وأطْيَشَ منْ طامِرٍ....))[3].

وفسرها الحريري بقوله: ((وإما قولها (اشأم من قاشر)، فإنّه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة بن تميم ما طرق إبلاً، إلا ماتت وقيل المراد به العام المجدب وسمي قاشراً لقشره ما على وجه الأرض من النبات))[4].

ومن معانيه أيضًا: مطرة قاشِرَةَ : ذات قشرٍ، ومن المجاز القاشور من الاعوام : المُجْذبُ الذي يَقْشِرُ كل شيءٍ، وقيل يقشرُ الناسَ كالقاشورة والقاشرة يقال سنة قَاشِرَةٌ و قشُورةٌ : تحتلق المال احتلاق النُّورَة، ومن المجاز القاشور : المشؤوم كالقُشَرَةِ كهمزةِ كانه لشُؤْمَه يَقْشِرُهم وقَد قَشَرَهُمْ اي شَأمَهم، والقاشور الجاري في اخر الحلبةِ من الخيل كالقاشِرِ وهو الفِسْكِل[5].

- **الحاتم:**

---

(١) مقامات الحريري ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) ينظر: لسان العرب (قشر) ١٢/ ١٠٨

(٣) مقامات الحريري ٤٢١.

(٤) مقامات الحريري ٤٢٩

(٥) ينظر: تاج العروس (قشر). ١٣/ ٤١٦.

حاتم : اسم علم عربي مذكر من الفعل حتم بمعنى قضى، جاء على صيغة اسم الفاعل بمعنى القاضي، اللازم، الواجب، والحاتم كذلك الغراب الاسود المشؤوم (غراب البين)، لأنّه يحتم بالفراق وهو أحمر المنقار والرجلين، يولع بنتف ريشه، ولهذا يتشاءمون به، لكن القوم سموا حاتماً على اسم حاتم الطائي خير كرام العرب، فتشبهوا باسمه وكرمه [1].

وعلى ذاك جاءت عند الهمذاني في المَقَامَةُ الصَّيْمَرِيَّة؛ إذ وردت في سياق المدح، قال: ((حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ المَعْرُوفُ بِأَبِي العَنْبَسَ الصَّيْمَرِيُّ: إِنَّ مِمَّا نَزَلَ بِي مِنْ إِخْوانِي الَّذِينَ اصْطَفَيْتُهُمْ وَانْتَخَبْتُهُمْ وَادَّخَرْتُهُمْ لِلشَّدَائِدِ مَا فِيهِ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَأَدَبٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ وَاتَّعَظَ وَتَأَدَبَ..... وَكُنْتُ عِنْدَهُمْ أَعْقَلَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْن عَبَّاسٍ وَأَظْرَفَ مِنْ أَبي نُواسٍ، وَأَسْخَى مِنْ حَاتِمٍ،...))[2].

فجاء هنا لفظ حاتم تشبيهًا بالعلم العربيّ المشهور الذي يُضرب به المثل عند الكرم، ومن دلالات (حاتم): قاضي بالأمر محكم له، ويدلّ كذلك على التشاؤم، فعند العرب (حاتم): الغراب السود والجمع حتوم[3]، والحاتِمُ: المشؤوم، وهو في الأصل غُرابُ البَيْنِ؛ لأَنَّه يَحْتِمُ بالفِراقِ إذا نَعَبَ، وَهُوَ أَحْمَرُ المِنْقارِ والرِّجْلَيْنِ، وَقَالَ اللّحياني: هُوَ الَّذِي يُولَعُ بنَتْفِ رِيشِه، وَهُوَ يُتَشاءَمُ بِهِ، قَالَ الجوهريّ: وإِنَّما سُمِّي بِهِ لأَنَّهُ يَحْتِم عِنْدهم بالفِراقِ، قَالَ النابِغَة[4]:[الكامل]

زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنا غَداً وبِذاكَ تَنْعابُ الغُرابِ الأَسْوَدِ

والحُتَامة ما يبقى على المائدة من الطعام، او ما سقط منه اذا أُكِلْ، والحتم : الخالص، مقلوب المَحْت والفضائح حتوم، الحُتْمة السواد، والحَتَمة القارورة المفتتة، والحُتُومة

(١) ينظر: قاموس معاني الاسماء (حتم).
(٢) مقامات الهمذاني ٣٢٠-٣٢٥.
(٣) ينظر: اسماء الذكور ـ احمد الراوي ٣٥.
(٤) ينظر: لسان العرب (حتم) ٤/ ٣١

الحموضة، والأحتم الاسود وهو ذو تحتم اي هشاشة وهو غضُّ المتحتم اي هشٌ مرتاح دائمً[1].

المبحث الثاني

الجبن والفرار والهزيمة

إنّ صفة الجبن محظور اجتماعي وديني بكلّ ما يترتب عليها من أفعال، كالفرار، والهزيمة -؛ إذ لا يكون للجبان أثرٌ في الناس، وليست له قيمة اجتماعية، حتى قالوا في أمثالهم: (أمّ الجبان لا تفرح ولا تحزن)[2]، ثمّ إنّ الإسلام عدّ الفرار من الزحف من كبائر الذنوب التي توجب الخلود في النار، وشاعت ألفاظ الجبن والفرار في كتابي المقامات بشكل لافت يكشف مدى نفور المجتمعات من هذه الصفة، ومن اتّصف بها، فدلّت ألفاظ على الفرار والهزيمة والهروب.

من ذلك (الهزيمة) فقد وردت عند الحريريّ في المقامة الحلبية: ((...فقالَ له: اسمَعْ لا وُقِرَ سمْعُكَ، ولا هُزِمَ جمعُكَ))[3].

فلا شكّ أنّ دعاء القائل للسامع بعدم هزيمة الجمع دليل على أنّ هذه الصفة ذميمة غير مقبولة لدى الناس.

ومن ذلك أيضًا (الفرار)، فقد ورد عند الحريريّ في المقامة الرّمليّة، ((حكى الحارثُ

(١) ينظر: كتاب قطر المحيط ـ بطرس البستاني ص٢٥٧ ـ .

(٢) ينظر: لسان العرب (جبن)٨/ ١٧٣

(٣) مقامات الحريري ٤٩٩.

بنُ همّامٍ قال: كنتُ أخذْتُ عنْ أولي التّجارِيبِ، أنّ السّفَرَ مِرآةُ الأعاجيبِ. فلمْ أزَلْ أجوبُ كلّ تَنوفَةٍ، وأقتَحِمُ كُلّ مَخوفَةٍ، حتى اجتَلَبْتُ كلّ أُطروفَةٍ، فمِنْ أحسَنِ ما لمحْتُهُ، وأغْرَبِ ما استَمْلَحْتُهُ، أنْ حضَرْتُ قاضيَ الرّملَةِ، وكانَ منْ أربابِ الدّولَةِ والصّولَةِ، وقد تَرافَعَ إليْهِ بالٍ في بالٍ، وذاتُ جَمالٍ في أسْمالٍ، فهمّ الشيخُ بالكلامِ، وتِبْيانِ المَرامِ...فقال: ما زِلْتُ أستَقْري الطُّرُقَ، وأستَفتِحُ الغُلُقَ، الى أن أدرَكْتُهُما مُصْحِرَينِ، وقد زمّا مطيَّ البيْنِ، فرغّبتُهُما في العَلَلِ، وكفَلْتُ لهُما بنَيلِ الأمَلِ، فأُشْرِبَ قلبُ الشّيخِ أن ييْأسَ، وقال: الفِرارُ بقُرابٍ أكيَسُ! وقالتْ هيَ: بلِ العوْدُ أحمَدُ، والفَروقَةُ يَكْمَدُ))[1].

فقد ورد الفرار في النصّ السابق دالًا على آخر احتمالات اليأس، وفي ذلك دلالة قاطعة على حظر هذا اللفظ عند الناس.

ومن الألفاظ الدالّة على الفرار والهزيمة ما يأتي:

- **(مضطرب العنان):**

ومما قيل فيها: جاءَ مضطربُ العنان، أي: منهزم منفرد[2]، والعنان يأتي بمعنى السباق، أي سابقَ منهزماً: وهو سَيرْ اللجام الذي تُمْسَك به الدابة أي مضطرب السيطرة على الثبات.

ولكنّه جاء عند الهمذانيّ خلاف المحظور؛ فقد ورد استعمال (ليّن العنان) في مقام المدح، وهو معنى يخالف الجبان المنهزم، فجاء في المَقَامَةُ الحَمْدَانِيَّةُ: ((حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قَالَ: حَضَرْنَا مَجْلِسَ سَيْفِ الدَّوْلةِ بْنِ حَمْدَانَ يَوْماً، وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ فَرَسٌ مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلِ، فَلحَظَتْهُ...فقَالَ سَيْفُ الدَّوْلةِ: عَلَيَّ بِهِ فِي هَيْئَتِهِ، فَطَارَ الخَدَمُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جَاءُوا لِلْوَقْتِ بِهِ، وَلَمْ يُعْلِمُوهُ لأَيَّةِ حَالٍ دُعِيَ، ثُمَّ قرِّبَ وَاسْتُدْنِيَ، وَهْوَ فِي طِمْرَيْنِ قَدْ أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمَا وَشَرِبَ، وَحِينَ حَضَرَ السِّمَاطَ، لَثَمَ البِسَاطَ، وَوَقَفَ، فَقَالَ:

(١) مقامات الحريري ٤٨٤-٤٨٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (ضرب) ٩/ ٢٩

سَيْفُ الدَّوْلةِ: بَلَغَتْنَا عَنْكَ عَارِضَةٌ فَاعْرِضْهَا في هذا الفَرَسَ وَوَصْفِهِ، فَقَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ كَيْفَ بِهِ قَبْلَ رُكُوبِهِ وَوُثُوبِهِ، وَكَشْفِ عُيُوبِهِ وَغُيُوبِهِ؟ فَقَالَ: ارْكَبْهُ، فَرَكِبَهُ وَأَجْرَاهُ، ثُمَّ قَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ هُوَ طَوِيلُ الأُذُنَيْنِ، قَلِيلُ الإِثْنَيْنِ، وَاسِعُ المَرَاثِ، لَيِّنُ الثَّلاَثِ... قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ لَيِّنُ الثَّلاَثِ، قَالَ: لَيِّنُ الْمُرْدَغَتَيْنِ لَيِّنُ العُرْفِ لَيِّنُ العِنَانِ...))[1].

وفي سياق مشابه أورد الحريري في المقامة الواسطية: ((حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال: ألْجأني حُكمُ دهْرٍ قاسِطٍ، الى أنْ أنتَجِعَ أرضَ واسِطٍ، فقصَدْتُها وأنا لا أعرِفُ بها سكَناً، ولا أملِكُ فيها مسْكِناً، ولمّا حللْتُها حُلولَ الحوتِ بالبَيْداءِ، والشّعرَةِ البيضاء في اللِّمَةِ السّوداء، قادَني الحظُّ الناقِصُ، والجَدُّ النّاكِصُ، الى خانٍ ينزِلُهُ شُذّاذُ الآفاقِ، وأخْلاطُ الرّفاقِ، وهوَ لنَظافَةِ مكانِهِ، وظَرافَةِ سكّانِهِ، يرَغّبُ الغَريبَ في إيطانِهِ، ويُنسِيهِ هوَى أوطانِهِ، فاستَفْرَدْتُ منهُ بحُجرَةٍ، ولمْ أُنافِسْ في أُجرَةٍ، فما كان إلا كلَمْحِ طرْفٍ، أو خطّ حرْفٍ، حتى سمِعتُ جاري بيْتَ بيْتَ، يقولُ لنَزيلِهِ في البيتِ: قُمْ يا بُنيّ... فعَجِبْتُ منْ فَطانَةِ المُرسِلِ والمُرسَلِ، وعلِمْتُ أنّها سَروجيّةٌ وإنْ لم أسْألْ، وما كذّبْتُ أنْ بادَرْتُ الى الخانِ، منطَلِقَ العِنانِ، لأنظُرَ كُنْهَ فَهْمي، وهلْ قرْطَسَ في التّكهّنِ سَهْمي، فإذا أنا في الفِراسَةِ فارِسٌ، وأبو زيْدٍ بوَصيدِ الخانِ جالِسٌ))[2].

- **الدابرة:**

الدَّبْرَةُ: الهزيمة في القتال، جعل الله عليهم الدَّبْرَة: الهزيمة، وجعل الله لهم الدَّبْرَة: الظفر والنصر بهزيمة غيرهم والدَّابِرَةُ: (بهاءٍ) آخر الرمل عن الشيباني يقال: نزلوا في دابرة الرملة وفي دوابر الرمال، عن ابن الاعرابي الدَّابَرَةُ: الهزيمةُ كالدبرة، الدابرةُ: المشؤمةُ عنه ايضاً، ودابرة الانسان عرقوبه، والدَّبْرَةُ: بالاسكان والتحريك الهزيمة في القتال وهو اسم من الادبار ويقال: جعل الله عليهم الدبرة: اي الهزيمة، وجعل لهم الدبرة: الظفر والنصرة،

(١) مقامات الهمذاني ١٩٦-٢٠٥.

(٢) مقامات الحريري ٢٨٩-٢٩١.

وقال : ابو جهل لابن مسعود يوم بدر وهو مثبتٌ جريحٌ صريعٌ : لمن الدْبرَ، فقال : لله ورسوله يا عدوَّ الله، قوله لمن الدبر : اي لمن الدولة والظفر وتفتح الباء وتسكن، ويقال : على مَنْ الدَّبْرَ ايضاً اي الهزيمة، والدَّابرَةُ ضربٌ من الشغَّزَبيةَ في الصراع[1].

والدَبَرة بفتحتين الهزيمة في القتال، وهي اسم من الادبار[2]، ويأتي المعنى الدلالي على ظاهر اللفظ وهو الدبر أي عدم التقدم في الحرب فولوا الدبر هاربين، وقد ورد بهذا المعنى عند الحريريّ في المقامة البكرية: ((فقال لي أبو زيدٍ: أعَلِمْتَ أنّ الأدَبَ قد بارَ. وولّتْ أنصارُهُ الأدْبارَ؟ فبُؤتُ لهُ بحُسْنِ البَصيرَةِ. وسلّمْتُ بحُكْمِ الضّرورةِ. فقال: دعْنا الآنَ منَ المِصاعِ. وخُضْ في حديثِ القِصاعِ. واعْلَمْ أنّ الأسْجاعَ. لا تُشبعُ منْ جاعَ))[3].

- **جاشت:**

الجَأْش : النفْس، وقيل القَلْب، وقيل رِباطُه وشدّتُه عند الشيء تسمعه لا تَدْرِي ما هو، وفلان قَوِيّ الجأْشِ أَي القَلْب، والجَأْش : جأْش القلبِ وهو رُوَاعُه،

قال الليث : جَأْش النفس رُواع القلب إِذا اضطرب عند الفزَع، يقال : إِنه لَواهِي الجَأْشِ، فإِذا ثبت قيل، انه لرابِطُ الجَأْشِ، ورجل رابِطُ الجأْشِ : يربِطُ نفسَه عن الفِرار يَكُفّها لِجُرْأَتِه وشَجاعته، وقيل : يَرْبِطُ نفسَه عن الفِرار لشَناعَتِه، وقال مجاهد في قوله تعالى : (يا أَيَّتها النفسُ المُطمئِنَّة)، هي التي أَيقنت أَن اللهَّ ربُّها وضَرَبَت لذلك جَأْشاً، قال الأَزهري : معناه قَرّتْ يَقِيناً واطمأَنَّت كما يَضْرِب البَعِيرُ بصَدْره الأَرضَ إِذا بَرَكَ وسَكَنَ، وجاشت نفس الجبان، جَأَشَت: إِذا هَمّت بالفِرَارِ واضطربت من الحزن او الفزع كان نفسي جاشت، وفي حديث البراء بن مالك : وكأن نفسي جاشت، اي ارتاعت وخافت [4].

(١) ينظر: لسان العرب (دبر) ٥/ ٢٠٩

(٢) ينظر: مختار الصحاح ـــ (١٦٤) .

(٣) مقامات الحريري ٤٦٧.

(٤) ينظر: المختصر (جيش).

وقد أورد الهمذاني هذه اللفظة في المقامة البشرية في سياق الخوف والخشية؛ إذ جاءت ضمن أبيات بِشْرُ بْنُ عَوَانَةُ العَبْدِيُّ، وقد كان صُعْلُوكاً، وقد طلب أن يتزوج من فتاة، فأَرْسَلَ ((إِلَى عَمِّهِ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ، وَمَنَعَهُ العَمُّ أُمْنِيَّتَهُ، فَآلى أَلاَّ يُرْعِيَ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ إِنْ لَمْ يُزَوِّجهُ ابْنَتَهُ، ثُمَّ كَثُرَتْ مَضَرَّاتُهُ فِيهِمْ، وَاتَّصَلَتْ مَعَرَّاتُهُ إِلَيْهِمْ.... قال له عمّه: إِنِّي آلَيْتُ أَنْ لاَ أُزَوِّجَ ابْنَتِي هَذِهِ إِلاَّ مِمَّنْ يَسُوقُ إِلَيْهَا أَلْفَ نَاقَةٍ مَهْراً، وَلا أَرْضَاهَا إِلاَّ مِنْ نُوقِ خُزَاعَةَ، وَغَرَضُ العَمِّ كَانَ أَنْ يَسْلُكَ بِشْرٌ الطَّرِيقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُزَاعَةَ فَيَفْتَرِسَهُ الأَسَدُ؛ لأَنَّ العَرَبَ قَدْ كَانَتْ تَحَامَتْ عَنْ ذَلكَ الطَّرِيقِ، وَكَانَ فِيهِ أَسَدٌ يُسَمَّى دَاذاً، وَحَيَّةٌ تُدْعَى شُجَاعاً... فَإِنَّهَا سَيِّدَةُ الأَفَاعي ثُمَّ إِنَّ بِشْراً سَلَكَ ذَلِكَ الطَّرِيقَ...وَخَشِيَ عمّه أَنْ تَغْتَالَهُ الحَيَّةُ، فَقَامَ فِي أَثَرِهِ، وَبَلَغَهُ وَقَدْ مَلَكَتَهُ سَوْرَةُ الحَيَّةِ، فَلَمَّا رَأَى عَمَّهُ أَخَذَتْهُ حَمِيَّةُ الجَاهِلِيَّةِ، فَجعلَ يَدَهُ فِي فَمِ الحَيَّةِ وَحَكَّمَ سَيْفَهُ فِيهَا، فَقَالَ:

بِشْرٌ إِلَى المَجْدِ بَعِيدٌ هَمُّهُ ... لَمَّا رآهُ بِالعَرَاءِ عَمُّهُ

قَدْ ثَكِلَتْهُ نَفْسُهُ وَأُمُّهُ ... جَاشَتْ بِهِ جَائِشَةٌ تَهُمُّهُ

قَامَ إِلَى ابْنٍ لِلفَلاَ يَؤُمُّهُ ... فَغَابَ فِيهِ يَدُهُ وَكُمُّهُ

وَنَفْسُهُ نَفْسِي وَسَمِّي سَمُّهُ

فَلَمَّا قَتَلَ الحَيَّةَ قَالَ عَمُّهُ: إِنِّي عَرَّضْتُكَ طَمَعاً فِي أَمْرٍ قَدْ ثَنَى اللهُ عِنَانِي عَنْهُ، فارْجِعْ لأُزَوِّجَكَ ابْنَتِي..))[1].

- **النوص:**

النوص: الاسْتِتارُ والهَرَبَ، ومِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ ــ رضي الله عنه ــ: (أَرادَ أَنْ يَسْتَعْمِل سَعِيدَ بن العَاصِ فبَاصَ مِنْه) أَيْ: هَرَبَ واسْتَتَر[2]، وجاء في المعجم الوسيط البوص :

(١) مقامات الهمذاني ٤٣٤-٤٦٦.

(٢) ينظر: لسان العرب (بوص) ٢/ ١٨٠

الفوت، والسبق، والتقدم، فأخذ اللفظ على معنى الضدّ، لدلالة الهروب[1].

وجاء هذا اللفظ عند الحريريّ في المقامة الرقطاء: ((فلمّا رأيتُ احتِدادَ لَدَدِهِ، وأنْ لا مَناصَ لي منْ يدِهِ، شاغَبْتُهُ، ثمّ واثبْتُهُ، ليُرافِعَني الى والي الجَرائِمِ، لا الى الحاكِمِ في المظالِمِ، لِما كان بلَغَني منْ إفْضالِ الوالي وفضْلِهِ، وتشدُّدِ القاضي وبُخْلِهِ))[2].

- **فلّ:**

الفَلُّ : القوم المنهزمون، وأصله من الكسر والضرب، ويقال : رجل فَلٌّ وقوم فَلٌّ، وربما قالوا فُلول وفُلالٌ، وفَلَلْت الجيش : هزمته، وفي قول الحجاج بن علاط : لعلي أصيب من فَلِّ محمد وأصحابه، أراد لعلي أشتري مما أصيب من غنائمهم عند الهزيمة، قال كعب بن زهير[3]:[البسيط]

إذا يُسَاوِرُ قِرْناً لا يَحِلُّ لَهُ أَن يَتْرُكَ القِرْنَ إلاّ وَهْوَ مَفلولُ

أي مهزوم.

فيما سبق يتضح أنّ هذا اللفظ مما يدلّ على الفرار والهرب، وهو بلا شكّ من الألفاظ المحظورة بهذا المعنى، وقد ورد عند الهمذاني في المَقَامَةُ النَّاجِمِيَّةُ، قال: ((حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بِتُّ ذَاتَ لَيْلةٍ في كَتِيبَةِ فَضْلٍ مِنْ رُفَقَائِي، فَتَذَاكَرْنَا الفَصَاحَةَ، وَمَا وَدَّعْنَا الحَدِيثَ حَتَّى قُرِعَ عَلَيْنَا البَابُ، فَقُلْتُ: مَنِ المُنْتَابُ؟ فَقَالَ: وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ، وَفَلُّ الجُوعِ وَطَرِيدُهُ، وَغَرِيبٌ نِضْوُهُ طَلِيحُ وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ))[4].

- **رعديد:**

الرّعديد : الجَبانُ يرتعدُ ويضطرب عند القتال جبناً، رجلٌ رعديد : جبان كثير

(١) ينظر: المعجم الوسيط مادة (بوص).
(٢) مقامات الحريري ٢٠٦.
(٣) ينظر: لسان العرب (فلل) ١١/ ٢٢٣
(٤) مقامات المهذاني ٢٧٤.

الارتعاد [1]، ورجلٌ ترعيد و رعديد و رعديدة : جبان يرعد عند القتال جبناً، قال ابو العيال :[الوافر]

ولا زميلهُ رعديدة رعِش اذا ركبوا

ورجل رعشيش : مثل رعديد، والجمع رعاديد و رعاشيش وهو يرتعد و يرتعش، وقد ورد عند الحريريّ في المقامة الملطية في سياق الذمّ والحطّ من المخاطب: ((فلمّا نجَحَتْ بُغيَتُهُ، وكمَلَتْ مِئَتُهُ، أخذَ يُثْني عليْهِمْ بصالِحٍ، ويشمِّرُ عنْ ساقِ سارحٍ، فتَبِعْتُهُ لأستَعْرِفَ رَبيبَةَ خِدْرِهِ، ومنْ قتَلَ في حِدْثانِ أمرِهِ، فكأنّ وشْكَ قِيامي، مثّلَ لهُ مَرامي، فازْدَلَفَ مني، وقال: افْقَهْ عني:

قتْلُ مِثلي يا صاحِ مزْجُ المُدامِ ... ليسَ قتْلي بلَهْذَمٍ أو حُسامِ
والتي عُنسَتْ هيَ البكرُ بنتُ ال ... كَرْمِ لا البِكْرُ من بَناتِ الكِرامِ
ولتَجْهيزِها الى الكاسِ والطّا ... سِ قِيامي الذي تَرى ومُقامي
فتَفَهّمْ ما قُلتُهُ وتحَكّمْ ... في التّغاضي إنْ شِئتَ أو في المَلامِ

ثمّ قال: أنا عِرْبيدٌ، وأنتَ رِعْديدٌ، وبيْنَنا بوْنٌ بَعيدٌ، ثمّ ودّعَني وانطَلَقَ، وزوّدَني نظرَةً منْ ذي علَقٍ))[2].

- **الصافر:**

ومن ألفاظ الجبن والفرار: الصافر، وهو طائر جبان يتعلق برجليه ويصفر خوفا من أن ينام فيؤخذ، قال ابو عبيد : الصافر كلُّ ما يصفر من الطير، والصفير لا يكون في سباع الطيرُ وانما يكون في خشاشها وما يُصاد منها، ذكر محمد بن حبيب، إن الصافرَ طائرٌ يتعلق بالشجر برجليه وينكس راسه خوفاً من ان ينام فيؤخذ، فيصفر منكوساً طوال ليلته، وذكر ابن الاعرابي : انهم ارادوا بالصافر المصفور به فقلبوه اي اذا ضُفِر به هرب،

(١) ينظر: المعجم الوسيط (رعد) ١/ ٣٥٣.
(٢) مقامات الحريريّ ٣٧٤.

وقد تمثل به الحريريُّ في المقامة التبريزيةَّ بقوله : (اجبن من صافر واطيش من طامر) وفسَّرهُ بما ذكر وزاد عليه بان المراد بالصافر من يصفر بالمرأة لريبةٍ فانه يجبن عند صفيره مخافة ان يظهرَ احدُ على امره، قال: ((وأما قولها (أجبن من صافر) فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عني به كل ما يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الأرض وقيل: إنه طائر بعينه إذا جنه الليل تعلق ببعض الأغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفاً على نفسه من أن ينام فيؤخذ، وقيل: إنه الذي يصفر بالمرأة لريبة وهو بجبن وقت صفيره مخافة أن يظهر على أمره وقيل: إن المراد به في المثل المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير ليهرب، فعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول))[1].

وقال ابن الأَعرابي ايضاً : الصَّفارِيَّة الصَّعْوَةُ والصَّافِر الجَبان، وصَفَرَ الطائر يَصْفِرُ صَفِيراً أَي مَكَا، ومنه قولهم في المثل : أَجْبَنُ من صَافِرٍ وأَصفَرُ من بُلْبُلٍ [2].

ومما ورد أيضًا في مقامات الحريريّ دالًا على الجبن والفرار والهزيمة: (اللاع)، فقد جاء في مقامات الحريري تفسيرًا لألفاظ المقامة الملطية، قال: ((وأما احبب فروقة، فمثله مقلاع، لأن الأمر من ومق يمق مق، واللاع الجبان، يقال فلان هاع لاع إذا كان جباناً جزعاً))[3].

ومن ذلك (الفرار)، فقد جاء في المقامة الصورية: ((فلمّا فرَغَ الشيخُ منْ خُطبَتِهِ. وأبْرَمَ للختَنِ عقْدَ خِطبَتِهِ، تساقَطَ منَ النِّثارِ، ما استَغْرَقَ حدَّ الإكْثارِ، وأغْرى الشّحيحَ بالإيثارِ، ثمّ نهَضَ الشيخُ يسحَبُ ذَلاذِلَهُ، ويَقْدُمُ أراذِلَهُ، قال الحارثُ بنُ همّامٍ: فتبِعْتُهُ لأنظُرَ عُرْجَةَ القوْمِ، وأُكمِلَ بهْجةَ اليومِ، فعاجَ بهِمْ الى سِماطٍ زيّنَتْهُ طُهاتُهُ، وتناصَفَتْ في الحُسْنِ جِهاتُهُ، فحينَ ربعَ كُلُّ شخْصٍ في رِبْضَتِهِ، وطفِقَ يرتَعُ في روضَتِهِ، انسلَلْتُ منَ الصّفّ، وفررْتُ

(١) مقامات الحريري ٤٢٩.
(٢) ينظر: لسان العرب (صفر) ٨/ ٢٥٢
(٣) مقامات الحريري ٣٨٧.

منَ الزّحْفِ، فحانَتْ منَ الشيخِ لَفتَةٌ إليّ، ونظرَةٌ هجَم به طرْفُهُ عليّ، فقال: الى أينَ يا بُرَمُ، هلاّ عاشَرْتَ مُعاشرَةَ مَن فيهِ كرمٌ؟ فقلت: والذي خلقَها طِباقاً، وطبّقها إشْراقاً، لا ذُقتُ لَماقاً، ولا لُسْتُ رُقاقاً، أو تُخبِرَني أين مدَبُّ صِباكَ، ومِنْ أينَ مهَبُّ صَباكَ؟))[1].

المبحث الثالث
النميمة والسعاية بين الناس

النميمة: هي نقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد، وإثارة الأحقاد[2]، وفي الحديث: (لا يدخل الجنّة قتّات)[3]، قيل: هو النمّام الذي يسّمّع على القوم، وهم لا يعلمون ذلك، ثمّ ينقل ما سمعه منهم[4]، وهي صفة محظورة اجتماعيًا ودينيًا، ويعدّ من اتّصف بها منبوذًا ومذمومًا؛ لأنّ لها آثارًا سلبية على المجتمع، تؤدّي إلى خلق الفتن، وتفتيت المجتمعات، وقد عدّها الإسلام من كبائر الذنوب، فعن مجاهد عن ابن عبّاس قال: (خرج النبيّ ﷺ- من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يُعذّبان في قبورهما، فقال: يُعذّبان وما يعذبان في كبير وإنّه لكبير، كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة)[5]، وعن عطاء بن السائب قال: (قدمتُ من مكّة فلقيني الشعبيّ، فقال: أطرفنا

(١) مقامات الحريري ٣١٠.
(٢) ينظر: صحيح البخاري ٥/ ٢٢٥.
(٣) متفق عليه : اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الادب، باب ما جاء في النمام، حديث رقم٦٠٥٦،ومسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة ١/ ١٠٥ ـــ حديث رقم ١٦٩.
(٤) ينظر: صحيح البخاري ٥/ ٢٢٥.
(٥) متفق عليه : اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب من الكبائر ان لايستتر من بوله، حديث رقم ٢١٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، ١/ ٢٤٠ـ٢٤١.حديث رقم ١١١(٢٩٢).

ممّا سمعت، قال: سمعتُ عبد الرحمن يقول: لا يسكن مكّة سافكُ دم، ولا آكل ربا، ولا مشّاء بنميم، فعجبتُ منه حين عدَلَ النميمة بسفك الدماء، وأكل الربا، فقال الشعبيّ: وما يعجبك من هذا؟ هل تُسفك الدماء، وتُرتكب العظائم إلا بالنميمة)[1] [2].

وعدّ الإسلام الساعي بين الناس بمنزلة ابن الزنا، جاء في الحديث: (الساعي بين الناس لغير رِشدة)[3]، وقال الشاعر يصف بشاعة النميمة[4]:[الكامل]

واعْصوا الذي يُسدي النّميمةَ بينكمْ متنصّحًا وهو السِّمام المُنْقعُ
يزجي عقاربَه ليبعثَ بينكمْ حربًا كما بعثَ العروقَ الأخدعُ

وجاء في وصف السعاية وقبولها: إنّ قبول السعاية شرٌّ من السعاية؛ لأنّ السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دلّ على شيء كمن قبل وأجاز، فامْقُت الساعي على سعايته، وإن كان صادقًا للؤمه في هتك العورة، وإضاعة الحُرمة، وعاقبْه إن كان كاذبًا لجمعه بين هتك العورة، وإضاعة الحرمة مبارزة لله بقول البهتان والزور[5].

وقد ورد لفظ النميمة في عند الحريريّ في المقامة السِّنْجاريّة دلالةً على ذمّ الموصوف بها، وتجنّب مجالسته، فقال: ((حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال: قفَلتُ ذاتَ مرّةٍ منَ الشامِ، أنحو مدينةَ السّلامِ، في ركبٍ من بني نُمَيرٍ، ورُفقَةٍ أولي خيرٍ ومَيرٍ، ومعَنا أبو زيدٍ السّروجيُّ عُقلَةُ العَجْلانِ، وسَلْوَةُ الثّكْلانِ، وأُعجوبَةُ الزّمانِ، والمُشارُ إليْهِ بالبَنانِ، في البَيانِ، فصادَفَ نزولُنا سِنْجارَ، أنْ أوْلَمَ بها أحدُ التّجارِ، فدَعا إلى مأدُبَتِه الجَفلى، من أهلِ الحضارةِ والفَلا، حتى سرَتْ دعوتُهُ الى القافِلَةِ، وجمَعَ فيها بينَ الفَريضةِ والنّافِلَةِ، فلمّا أجَبْنا مُنادِيَهُ،

(١) اخرجه وكيع في الزهد، حديث رقم ٣٣٩.
(٣) ينظر:. عيون الاخبار ٤/ ٢٠
(٢) لم اجده في كتب الحديث.
(٣) ينظر: عيون الأخبار ٤/ ٢٠، والعقد الفريد ١/ ٢٣٦.
(٤) ينظر:. عيون الأخبار ٥/ ١٩٧
(٥) ينظر: عيون الأخبار ٤/ ٢٣.

وحللْنا نادِيَهُ، أحضَرَ منْ أطعِمَةِ اليدِ واليَدَيْنِ، ما حَلا في الفَمِ وحَلِيَ بالعَينِ، ثمّ قدّمَ جاماً كأنّما جُمّدَ من الهَواء، أو جُمِعَ منَ الهَباء، أو صِيغَ منْ نورِ الفضاء، أو قُشِرَ منَ الدُرّةِ البيضاء، وقد أودِعَ لَفائِفَ النّعيمِ، وضُمّخَ بالطّيبِ العَميمِ، وسيقَ إليْهِ شِرْبٌ منْ تسْنيمٍ، وسفَرَ عنْ مرْأًى وسيمٍ، وأرَجٍ نَسيمٍ، فلمّا اضطرَمَتْ بمحْضَرِهِ الشّهَواتُ، وقرِمَتْ الى مخْبَرِهِ اللهَواتُ، وشارَفَ أنْ تُشَنّ على سِرْبِهِ الغاراتُ، ويُنادَى عندَ نهْيِهِ: يا للثّاراتِ! نشَزَ أبو زيدٍ كالمجْنونِ، وتباعَدَ عنهُ تباعُدَ الضّبّ منَ النّونِ، فراوَدناهُ على أن يعودَ، وأنْ لا يكونَ كقُدارٍ في ثمودَ، فقال: والذي يُنشِرُ الأمْواتَ منَ الرِّجامِ، لا عُدْتُ دونَ رفْعِ الجامِ، فلمْ نجِدْ بُدّاً منْ تألُّفِهِ، وإبْرارِ حَلِفِهِ، فأشَلْناهُ والعُقولُ معَهُ شائِلَةٌ، والدّموعُ علَيْهِ سائِلَةٌ، فلمّا فاءَ الى مجْثِمِهِ، وخلَصَ منْ مأثَمِهِ، سألناهُ لمَ قامَ، ولأيّ معنًى استرْفَعَ الجامَ؟ فقال: إنّ الزّجاجَ نَمّامٌ، وإني آليتُ مُذْ أعوامٍ، أنْ لا يضُمّني ونموماً مَقامٌ، فقُلنا لهُ: وما سبَبُ يَمينِكَ الصِّرّى، وأليّتِكَ الحرّى؟ فقال: إنهُ كانَ لي جارٌ لسانُهُ يتقرّبُ، وقلبُهُ عقْرَبٌ، ولفظُهُ شهدٌ ينقَعُ، وخَبْؤهُ سمٌ منقَعٌ، فمِلْتُ لمُجاورَتِهِ، الى مُحاورَتِهِ، واغترَرْتُ بمُكاشَرَتِهِ، في مُعاشرَتِهِ، واستهْوَتْني خُضرَةُ دمْنَتِهِ، لمُنادَمَتِهِ، وأغرَتْني خُدْعَةُ سمَتِهِ))[1].

ولا شكّ أنّ تجنّب المخاطب من لقاء الموصوف بالنميمة دلالة قاطعة على شناعة الوصف وعلى أنّه محظور اجتماعي مكروه بين الناس، وفي المقامة نفسها جاء لفظ القتّات دالًا على النميمة: ((والزّجاجُ مخصوصٌ بهذِه الطّباعِ الذّميمةِ، وبهِ يُضرَبُ المثَلُ في النّميمةِ، فقدْ جرى عليْهِ سيْلُ يميني، ولذلِكُمُ السّببِ لمْ تمْتَدّ إلَيْهِ يَميني:

فلا تعذِلوني بعدَما قد شرحتُهُ ... على أنْ حُرِمْتمْ بي اقتِطافَ القطائِفِ

فقد بانَ عُذري في صَنيعي وإنّني ... سأرْتُقُ فَتقي من تَليدي وطارِفي

على أنّ ما زوّدْتُكُمْ من فُكاهَةٍ ... ألذُّ من الحُلْوى لدَى كل عارِفِ

(١) مقامات الحريري ١٧١-١٧٣.

قال الحارثُ بنُ همّامٍ: فقبِلْنا اعتِذارَهُ، وقبّلنا عِذارَهُ، وقُلْنا لهُ: قِدْماً وقذَتِ النّميمةُ خيرَ البشَرِ، حتى انتشَرَ عنْ حمّالةِ الحطبِ ما انتشَرَ، ثمّ سألْناهُ عما أحدَثَ جارُهُ القَتّاتُ، ودُخْلُلُهُ المُفْتاتُ، بعدَ أن راشَ لهُ نبْلَ السّعايَةِ، وجذَمَ حبْلَ الرّعايةِ))[1].

الخاتمة

يُفهم ممّا تقدم وجود فروق دلالية بين ألفاظ التشاؤم وما يذمّ من أصناف الناس وصفاتهم، فقد جاء لكل معنى ألفاظ تدلّ عليه، وهناك اختلافات في درجات المحظور بين هذه الألفاظ، فمنها غير مقبول اجتماعيًا، وضع له العرب مقابلًا مباحًا، ومنها ما هو أقلّ في درجة الحظر، وقد يستعمل اللفظ المحظور لأغراض يقصدها المتكلم، كأغراض الهجاء والذمّ، وفي مقام الذُّل، ووظّفت الأمثال العربية ألفاظ التشاؤم وما يذمّ من اصناف الناس وصفاتهم بشكل يتلاءم مع المعنى المقصود؛ لأنّ هذه الألفاظ تعمل على انتشار المثل، وتحقيق الغاية من إطلاقه، لما تتّصف به من دلالات سلبية في المجتمع العربي، أمّا ورود هذه الألفاظ في سياق الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، فلبيان أحكام معينة تدعو الحاجة إليها، ومن دون ذكرها أو بيانها يؤدّي إلى التباس الأمر.

(١) مقامات الحريري ١٧٨-١٧٩.